رسالة المعلم ..

... الى المعلم

للأستاذ الجليل أحمد فهمى العمروسى بك

كلما فكرت فى هذه الرسالة التى تفضلت «صحيفة التعليم الالزامى» فرغبت إلى أن أقدم بها إلى المعلم، حتى يستوعب فيها جانباً قوياً من جوانب حياته فى ظل نفسه . وفى ظل بيئته، كلما فكرت فى هذه الرسالة رأيتنى أنهض بعواطفى كلها إلى تمجيد ذلكم الرجل العظيم الخالد . مسيو « بستالوتسى » المربى السويسرى صاحب الصوت البعيد فى محيط التربية الواسع الجنبات .. كان « بستالوتسى » يكره أولئك الكارهين للاطفال. ويقبل على حبهم إقبالا فيه أعمق بواعث الحب والعطف. وكان رجلا مجدوداً تناولته ثروة مذكورة، فراح ينفقها على تهذيب الأطفال وفق مبادئه فى التربية . ولقد أصيب الرجل فى وحيده . وكان من شأن هذه النكبة أن تشغله . وأن تصرفه عن أولئك الأطفال الذين يذكره مرآهم بفجيعته الكبرى . ولكنها لم تشغله . ولم تصرفه عنهم وإنما مدته بروح قوى أثار فى نفسه حرارة قوية . كان اتجاههـا منصرفاً إلى تثقيف الأطفال . الى الحدب عليهم . بالغاً ما بلغ ثمن هذا الحدب الوسيع ...

وإنى لأعتقل الأثر الذى أحدثه « بستالوتسى » فأرى أنه أنفع ما أثارته مبادئ التربية فى كل العصور لأنه يدعو « المعلم » دعوة رائعة إلى حب الطفل . وحب الطفل هو فى جملته وتفصيله أول مراحل النجاح فى التربية لأنه يهدى « المعلم » إلى شىء غير قليل من الإيمان بأنه يربى ويقدم إلى الحياة أرواحاً لاتعرف الشوائب ، ولاتدرى ما هى العثرات ... ذلك أن حب الطفل من جانب المعلم يلهمه أخذه بالموادة . وتناوله بالاين وإذاعة الغبطة فى معاملته وتلك خصائص يستغلها الطفل استغلالا يتأكد معه أنه مقبل على حياة لا يجد من نفسه دافعاً يصرفه عن الاقبال عليها .

وإذن فمن خير « المعلم » أن يحب الأطفال حتى يساير فى دراسته لهم هوى صادقاً فى نفسه، وحتى يكون التوافق بين روحه وجوارحه توافقاً ملحوظاً، ومن خير المعلم إلى جانب ذلك

ألا يوجه الأطفال وجهة لا تجرى وفق فطرتهم . حتى لا يكون حرباً عوانا على أذهانهم وعلى ميولهم . وعلى عواطفهم جميعاً .

وإنه لحقيق بالمعلم أن يؤمن عميق الإيمان وقوى الإيمان أن أسلوبه فى الدراسة متى فقد الروح التى تشيع عليه أطياف التأثير ، كان أسلوباً قليل الجدوى . ضئيل الغناء ؛ فمن خيره إذن أن يتجه إلى تنمية الدافع الداخلى النفسانى فى عمله ، وإنى لأرمى من وراء ذلك إلى القول بأن المعلم لا يمكن له أن يطمئن إلى نفاذ دروسه إلى الأعماق — أعماق التلاميذ — إلا بعد أن يعتقد بأنها قد نفذت إلى أعماقه . فإذا اتجه إلى تنمية هذا الدافع النفسانى كان حقيقاً بالإعجاب . وكانت تعاليمه كلها حقيقة بالبقاء فى أذهان التلاميذ ؛ ومتى استقرت هذه التعاليم فى أذهان التلاميذ . فليس شك فى أنها ماضية بهم إلى نجاح محقق . وفوز لا ريبة فيه . . .

على المعلم إذن أن يباعد ما بينه وبين هذا الأسلوب الذى أعبر عنه بالمنطق البارد . . .

أتدرون ما هو المنطق البارد ؟ هو أن يندفع المعلم فى إلقاء دروسه بلسانه وحده ، دون أن يشغل معه روحه ووجدانه وعواطفه جميعاً فيكون آليا فى كل شيء ؛ هذا هو المنطق البارد لأنه لا يثير فى نفوس التلاميذ عاطفة من عواطف الرضى .

وخير للمعلم أن يلبس شخصية مثيرة لتقدير طلابه حتى يلفتهم إليه فتكون النتيجة المحتومة استقراراً لآرائه فى نفوسهم استقراراً مكفول البقاء . . . وإنك لتدرى كيف يكون إعجاب النظارة بالغاً أشده حين يشهدون على المسرح ممثلا قد لبس شخصية الدور الذى يمثله بل أملك تعلم أن الشاعر الألمانى والقاص الخالد « جيوت » كان يبكى لدراماته أجزل من بكاء الجمهور ، لأنه أخرجها من وجدانه . فإذا استمع إليها أو عاودها من جديد . آمن ملء نفسه أنه يعاود شيئا يثير فى نفسه أعمق دوافع التقدير . . .

خير إذن للمعلم أن يعتقد بأنه حين يسلم تعاليمه إلى تلاميذه . إنما يسلمها إلى نفسه أيضا وتلك ميزة ، لو أنها توجت أذهان المعلمين لرأينا مصر من ناحيتها الثقافية قد شارفت الهام وارتقمت على الأوج .

ولعل هذه الرسالة أن تكون — على بساطتها — عميقة التأثير فى نفوس المعلمين الذين أعنى لجهودهم أجزل الفلاح . وأوفر الفوز .

أحمد فريد العمروسى